أستاذي علي عزت بيغوفيتش أن نكفر بإله المجتمع

محمود المعتصم *

كنت قد بدأت في الجزء الأول حكاية تجربتي مع مفكر أعتقد أنه يمثل هذه البداية، حيث قدمت خلاصة تجربتي مع الأصولية. في هذا الجزء سأتطرق للأفق الفني والفكري الذي فتحه علي عزت أمامي، وسأختم في الجزء الأخير بمقال عن الحرية الجذرية التي يمثل علي عزت إحدى البدايات الممكنة لها كذلك

■■■

في تلك المرحلة كنت قد بدأت باكتشاف الفن. الفن الذي يتجاوز مجرد الجمال. بتفريقات الغربيين كنت قد بدأت أكتشف أن هنالك Art وEntertainment. لاحقاً سأكتشف أنه هنالك فرق مشابه بين السياسة الجذرية والألاعيب النضالية. أذكر أنني عندما كنت أقرأ «مائة عام من العزلة»، وهي أول رواية، وربما كتاب كبير، قرأته في حياتي، كنت أنفصل عن العالم الواقعي الذي كانت أسسه تتداعى بالنسبة لي، كانت تفاصيله المهمة تنتهي، وبصورة شديدة القسوة. وأرحل إلى عالم الرواية، بلا أي معرفة عن كيف تقرأ الروايات، ولا أي دراية بأهمية النص الذي أمامي. هذه المواجهة «البريئة» مع الفن ما زالت تمثل أساس فهم الفن كشيء «حقيقي» أكثر من الواقع بالنسبة لي. بعدها بفترة كنت أجد الألم في مختلف الفنون، هي كانت تذكرني بالحقيقة التي تختفي في الواقع، حقيقة أننا نعيش الحياة بأكثر من مجرد الحياة. هذه الحقيقة التي نحاول جميعاً الهروب منها...

سؤال الفن ليس سؤالاً جميلاً. بمعنى أنه سؤال لذيذ ستشعر بالسعادة وأنت تتعرض له. ذلك أن مصدر الفن هو أزمة الوجود، لماذا هنالك حياة وموت، وجود وعدم. كنت قد شعرت لأول مرة بهذه الأزمة وأنا أشعر بالشر في داخلي. هنالك مع التفجرات الكبيرة نفقد حياد الطفولة، حالة كوننا ظواهر «طبيعية». كل شيء غير طبيعي يبدأ بالظهور حتى أنك لا تعرف من أنت حقاً. تصاب بالذهول من الجميل والقبيح الذي يمكنك أن تفعله. ومن ذلك الذي يمكنك أن لا توقف نفسك عن فعله. ولتواصل المسير في هذا الطريق الصعب عليك أن تستعين بالأعمال الفنية. أن تأخذها بجدية. خذ مثلاً الفيلم Shawshank Redemption ما يجعله جميلاً هو أننا جميعاً نعلم أننا نعيش داخل سجن ونحاول الهروب منه. ليس هنالك شيء «بسيط» و«بريء» في هذا الاستمتاع، إنه تمثل «لمشكلة» و«أزمة». هذا «الفن» الذي هو (أنا أعرف الفن بأنه الشيء الجديد جذرياً. لأن الذات نفسها هي الخلق من العدم. الحب مثلاً هو خلق من العدم. كانت كان يقول بأنك حتى تقوم بشيء أخلاقي فأنت يجب أن تولد من جديد، أن تخلق نفسك من العدم/ وهذا حسب علمي هو تعريف الفن عند آلان باديو)، هو فن عرفني إليه لأول مرة علي عزت بيغوفتش. الشيخ القارئ لهيرمان هيسة ونيتشه. يحدثك علي عزت عن ذهوله أمام لوحات بيكاسو وكأنه طفل صغير. وأنا في ذلك الزمن كنت شديد الانبهار بكليشيهات الثقافة (الفن والفكر) ولكنني رغم ذلك أحسست بأن شيئاً قد حدث.

كان تساؤل بسيط يدور في رأسي. من هو الإنسان الجيد؟ وهنا كنت أرى تناقض أن البشر المتدينين هم بشر سيئون. وأكثر من ذلك، إنهم لا يشعرون. أعتقد أن الاستنتاج البسيط هنا هو أن الدين يجعل الناس سيئين لأنه مجرد أكذوبة سخيفة. مثل هذا الاستنتاج لن يكون ممكناً داخل الفلسفة... وابنها الشرعي «علم التحليل النفسي» (وليس علم النفس). وكما سنرى لاحقاً فإن أكثر ما يمكنك أن تراه عبر علي عزت بيغوفتش هو أن الدين، كالفلسفة، هو أقرب

> **الدين ليس عربياً، ولا أوروبياً، والأمر نفسه يمكن قوله بالنسبة إلى الحقيقة**

للتحرر من اللادين. بعد ذلك بوقت طويل عرفت أن هنالك علاقة وطيدة بين الفلسفة الأوروبية «القارية» والدين. بينما هنالك علاقة وطيدة بين اللادين والفلسفات الواقعية كالتحليلية. في المثالية الألمانية وابنتها الجدلية المادية كانت هنالك دائماً مساحة من الحرية الجذرية، بينما تختفي هذه المساحة في الفلسفة التحليلية... وصولاً للاختلاف بين علم التحليل النفسي الفرويدي ومدارس دراسات العقل Cognitive Sciences.

بالنسبة لي، فإن الكتاب «هروبي إلى الحرية» شكّل بالفعل باباً انفتح على مصراعيه. علي عزت بيغوفتش، وعلى الرغم من كونه مفكراً إسلامياً، إلا أنه ابن مدرسة، في الجذرية والثورة والحقيقة، هي جوهر أوروبا. ربما يكون علي عزت في ذاته إثباتاً ضد دعاوى العودة إلى «التراث الإسلامي» لفهم الدين. فعلي عزت لم يكتشف الدين في أصل تاريخ الفكر الأوروبي وحسب، بل اكتشف الأصل المشترك للدين. فالدين ليس عربياً، ولا أوروبياً، ونفس الأمر يمكن قوله بالنسبة للحقيقة. لذلك يمكنك أن تقول عن كانت إنه «أحد المعلمين العظام للإنسانية» وأن تكون مسلماً. بل أكثر من ذلك، بالنسبة لعلي عزت، فأنت لن تكون مسلماً ما لم تقل ذلك! إن الانفصال بين الشرق والغرب، ومحاولة احتكار الحقيقة في داخل التاريخ الاجتماعي للطوائف والجغرافيا، هو الوثنية بعينها، عندما يعبد الإنسان عشيرته ويسخّر الحقيقة في «صراع الحضارات». «نحن» ضد «هم» بتعبيرات إدوارد سعيد. من «نحن»؟ بالنسبة لعلي عزت فنحن أكثر من كوننا أبناء للصحابة وبقية رموز التراث... نحن أبناء الحقيقة التي ظهرت في أوروبا. نحن أبناء تلك الحقيقة أكثر من الأوروبيين.

والكتاب هو فن في النضال. كتبه علي عزت وهو في سجون شيوعية تيتو. كتبه كمهرب من طبقات السجن المتعددة. دعوني أضعها بهذا الشكل: في «ذاتيته» هرب علي عزت نحونا جميعاً. هو أراد أن يكون جزءاً منا، نحن الذين سنقرأ كتابه ثم نرتبط معه بعلاقة أبدية. إن الذاتية المفرطة لشخص يدون أفكاره المعقدة في بيئة لا تقرأ غير «التكرار الأصولي اللا نهائي» هي المدخل الوحيد للمطلق الذي يجمع «الطائفة»... «الحزب». إن هذا المطلق Universal الذي يجمعنا جميعاً هو ما هرب علي عزت له.

الكتاب عبارة عن تأملات، في الفن والدين والسياسة، مكتوبة في شكل فقرات قصيرة. وقد شكلت هذه المقتطفات مدخلاً رائعاً بالنسبة لي للثقافة الغربية... التي هي غاية «الثقافة». ومن وقتها أنا أتعرف بصورة أفضل على أولئك الذين قرأت عنهم عند علي عزت أول مرة: كيركيغار، هيغل، كانت، والبقية. هم المعلمون العظماء للإنسانية. وإن كانت «حضارتك» تجعلك تخجل من قول ذلك فأنت لم تخرج من السجن بعد. هذا بخلاف أنك تخلط بين أشخاص مثل جورج بوش وكانت. هؤلاء لا ينتمون لنفس الحضارة «إن كان لزاماً أن نتكلم بمنطق الحضارات». جورج بوش ينتمي لنفس حضارة صدام حسين.

ثم جاءت منظومة علي عزت الفكرية بعدها في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب»: الأخلاق هي أساس الدين. ولذلك فالعقل الحر هو أساس الدين. لأن الأخلاق هي نتاج حرية العقل. الله نفسه سيعتمد على الأخلاق حتى يصبح ممكناً. وليس العكس. ولذلك فالنص عديم القيمة (بل قد يكون شراً) إن قُرأ من دون عدسة الأخلاق والعقل.

بالنسبة لعلي عزت، فإن القانون الأخلاقي في الإنسان هو شيء سابق للدين. بمعنى أنه سابق للرسالة السماوية. هو، بالتأكيد، بالنسبة لعلي عزت، جزء من الدين دائماً، لكنه ليس جزءاً من «التعاليم» الدينية. الرسالة لا تعلم الناس الأخلاق، لا تخبرهم ما هو الصواب وما هو الخطأ، ذلك المجال هو مجال الفرد. أنت عندما تتعرض لسؤال أخلاقي، عن هل يجب أن تقتل أحدهم مثلاً، أو عن كيف يجب أن تعامل زوجتك أو ابنتك، فإنه لا معنى، من الناحية الدينية، لأن تذهب بحثاً عن الإجابة عند شيوخ الكهنوت أو داخل النصوص الدينية. ما هو الأخلاقي في تنفيذ تعاليم الأخلاق من دون أن تقررها

بيغوفتش، الإسلامي، ابن مدرسة في الجذرية والثورة والحقيقة

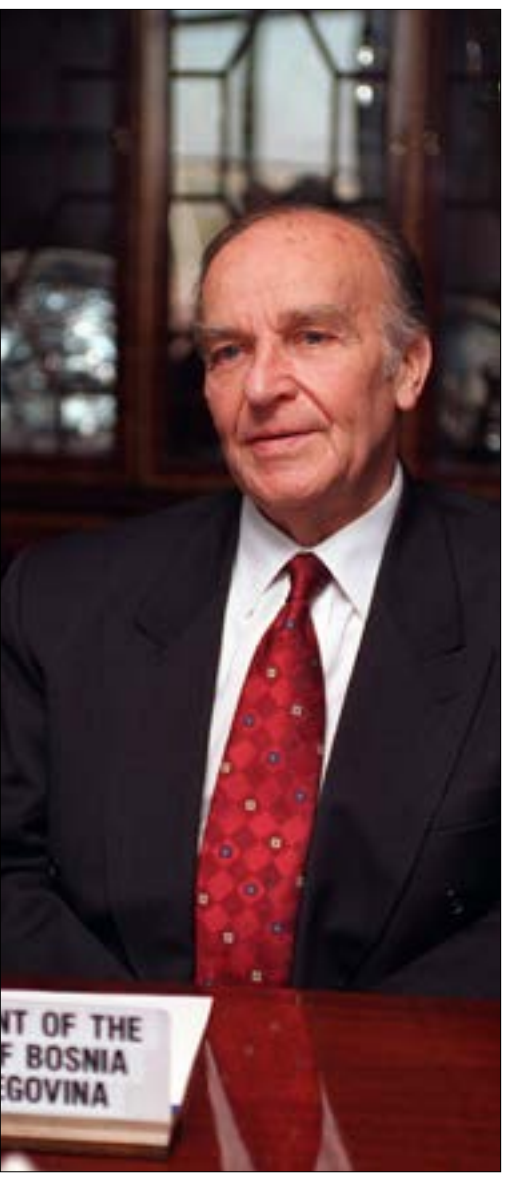

العلاقات الدولية ذات اللون الزهريّ

ياسر عبد الحسين *

على وفق المُؤشِّرات الحاليّة فإنَّ تاء التأنيث ستحكم المُستديرة قريباً بسماتها الدافئة، بسلامها المَرْيَمِيّ، ومكرها الزليخيّ بعيداً عمّا يُريده البعض أن يُزحزحها من القلب إلى الهامش؛ لتكون الحارسة الأمينة على الذاكرة، وجمع الشتات الإنسانيّ بأريج خاصٍّ يُوحي بسياسة ورديّة. بات الحديث عن أنَّ الأقطاب النسويّة أقرب اليوم لأن تغزو العالم ما بين رئيسة وزراء بريطانيا مُؤخّراً ابنتي القسّ تيريزا ماي، وأنجيلا ميركل في ألمانيا، وابنة رجل الأعمال بالنسيج (هيلاري كلينتون) قريباً في الولايات المتحدة الأميركيّة، وكذلك الأمر شمل المنظمة الدوليّة الأكبر، فالبديل عن بان كي مون الأمين العامّ للأمم المتحدة حتى الآن هو امرأة أرجنتينية، وهي سوزانا مالكورا.

صعود المرأة على رأس القرار في النظام العالميّ ليس بالجديد أمام أنديرا غاندي، وبنازير بوتو، والمرأة الحديديّة مارغريت تاتشر، ومادلين أولبرايت، وكوندليزا رايس، وأخريات، لكنَّ الجديد أن تصبح هناك خرائط نسويّة إنسانيّة تُعيد شكل سياسة العالم في الفراغات المنسيَّة كما يتوقّع البعض.

جدل التذكير والتأنيث قديم في سجالات الاجتماع، والتاريخ، ولم يقتصر على موضوعات الحقوق الفرديّة فقط، بل شمل كذلك مُفرَدات عالم العلاقات الدوليّة.

ففي عام 1998 كتب الأميركيّ ـ الياباني فرانسيس فوكاياما Francis Fukuyama نظريته حول «تأنيث المستقبل»، مفادها أهمية إعادة سلطة المرأة سياسيّاً؛ لأنَّ تأنيث العلاقات الدوليّة -حسب رأيه- سوف يُضيِّق الفرصة أمام الحروب، ولا سيَّما إذا أصبحت تلك المرأة في المجتمعات الديمقراطيّة في موقع القرار السياسيّ؛ لأنَّ المرأة سوف تكون أكثر رأفة بالناس من الرجل، بل أكثر حكمة عند اتخاذ القرارات.

فوكوياما جاء ليُؤكّد انعكاس الأنوثة الرقيقة على علم العلاقات الدوليّة، وهي -بالأصل- تتطابق مع فكرة طرحتها كارول كون Carol Cohn في مقالتها الشهيرة: «الجنس والموت في العلاقات الدوليّة ومُؤسَّسات الدفاع» Sex and Death in the Rational World of Defense Intellectuals، قالت فيها: إنَّ الذكوريَّة في المُؤسَّسة العسكريَّة هي التي ساهمت في صناعة ثقافة الحرب.

عالم العلاقات الدوليّة المملوء باللون الأحمر القاني، وصراعات الحروب الذكوريّة التي صنعها حضرة «السيِّد» هل ستتقدَّم فيه «السيّدة»؟

العنف الذي لم يكن مُقتصِراً على الرجال فقط. وللمزحة يتداول البعض موضوع ماري كوري مُكتشِفة اليورانيوم وهي المادَّة الأساسيَّة في صناعة القنبلة النوويّة لاحقاً بأنها امرأة ليست رسالة سلام نسويّة، بل حتى إن قُدِّر للرجال الدفاع عن موضوع ارتباط العنف بالذكور ألم يكن الرجال المُستبدُّون نتاج رحم نساء، فالمرأة صانعة للرجال. بربرا بيرس صنعت جورج دبليو بوش، وصبحة طلفاح صنعت صدام حسين. ثمَّة مَن يرى أنَّ النُخَب النسويَّة الصاعدة في القيادة السياسيَّة قد لا يتمتعن بقدر كافٍ من نون النسوة من الرقة والأنوثة، وأنه لو لم يتمتعن بالقوة والصلابة لما ارتبط اسم النساء الحاكمات بالمرأة القويّة، والمرأة الحديديّة في المعترك السياسيّ

> **جدل التذكير والتأنيث قديم في سجالات الاجتماع والتاريخ**

الفاقد للجوانب المعنويَّة والروحيَّة. مَن يقرأ مُذكّراتها سيستشفُّ دور مارغريت تاتشر في حرب الفوكلاند عام 1982 عندما لم تتفاوض مع الجماعات والجيوب الأرجنتينيّة ضدّ بريطانيا، بل جاء ردُّها عبر القوة الصلبة بمُشارَكة الأسطول العسكريِّ البريطانيِّ لحسم الأمر.

عُموماً.. فقد تطوَّر المفهوم في علم العلاقات الدوليَّة حتى أصبحت (النسويّة) واحدة من أهمِّ النظريَّات في تفسير السياسة الدوليّة، وحاولت هذه النظرية ترتيب قطع «الميكانو» المختلفة التي تمارسها المرأة في السياسة بشكل عامّ، والعمل المهنيّ في الدولة بشكل خاصّ، ما بين الدبلوماسيّة، والعسكريّة، والاجتماعيّة، وتناقش تلك الاختصاصات من زوايا الذكورة والأنوثة، لكنَّ الإشكال المُثار في تلك النظريّة أنها تُهمِّش دور المرأة في العلاقات الدوليَّة عندما يكون معيار التمييز بين الجنسين وحدة التحليل الأساسيّة للنظريّة النسويّة في هذا الاتجاه؛ فإنَّ مُشارَكة المرأة ليست مِلْحاً، أو بهارات خاصّة تُضاف إلى الطبخة السياسيّة، وليست مكياجاً سياسيّاً، بل إنَّ الدور الأصيل للمرأة ينبع من ذاتها، ويمكن أن تتحوَّل بذاتها، كما تقول الروائية المصريّة الراحلة رضوى عاشور في روايتها «أثقل من رضوى»: «إنني من حزب النمل، من

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper